معانى الكلمات :

ما يبدئ الباطل وما يعيد : الباطل لا يقدر أن ينشئ خلقاً أو يعيدهم . فلا فوت : فلا نجاة . مكان قريب : موقف الحساب . أنى لهم التناوش من مكان بعيد : من أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلا .أشياعهم: أمثالهم وأشباههم . مريب : موقع فى الشك والقلق .

« سورة فاطر »

فاطر : خالق على غير مثال سبق . أولى أجنحة : لها أجنحة . ما يفتح الله الناس:ما يرسل الله للناس .فلا ممسك لها : فلا مانع لها.فأنى تؤفكون: فكيف تصرفون عن توحيده .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعلم المؤمن فائدة التفكر والتدبر فى خلق الله وأحكامه .

٢ ـ أن يدرك المؤمن إعجاز قدرة الله فى خلقه .

٣ ـ أن يكثر المؤمن شكر الله على نعمه وعطاياه .

المحتوى التربوى :

يقرر السياق بأن الحق قد جاء فى صورة من صوره ؛ فى الرسالة ، وفى قرآنها ، وفى منهجها المستقيم ، فأعلن هذا الإعلان وقرر ، بأن الحق قد جاء ، جاء باستعلائه وسيطرته ، والباطل قد انتهى أمره ، وما عادت له حياة وما عاد له مجال .

يقول صاحب الظلال : « إنه الإيقاع المزلزل ، الذى يشعر من يسمعه أن القضاء المبرم قد قضى .. وإنه لكذلك ، فمنذ جاء القرآن استقر منهج الحق واتضح ، ولم يعد الباطل إلا مماحكة ومماحلة أمام الحق الواضح الحاسم الحازم ، ومهما يقع من غلبة مادية للباطل فى بعض الأحوال والظروف ؛ لا أنها ليست غلبة على الحق ، إنما هى غلبة على المنتمين إلى الحق ، غلبة الناس لا المبادئ ، وهذه موقوتة ثم تزول ، أما الحق فواضح بين صريح » .

والإيقاع الأخير : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ فلا عليكم إذن إن ضللت فإنما أضل على نفسى وإن كنت مهتديًا فإن الله هو الذى هدانى بوحيه لا أملك لنفسى منه شيئًا إلا بإنه وأنا تحت بمشيئته أسير فضله .

إن دعوات باطلة هدامة مرت منذ قيام الإسلام تحاول هدمه وتحطيمه ، لكن زالت هذه الدعوات وأصحابها ، وبقى الإسلام قوياً يكسب أنصاراً جددًا حتى فى الأوقات التى ضعف المسلمون .

ثم يأتى خطاب النبى للمستكبرين ليؤكد فردية التبعية ، والإقرار لله بالفضل ، وإفراد الله بالسؤال والمناجاة ، وهكذا الدعاة إلى الله كما يقول صاحب الظلال : « يجدون الله ، هكذا كانوا يجدون صفاته هذه فى نفوسهم ، كانوا يجدونها رطبة بالحياة الحقيقة ، كان يحسون أن الله يسمع لهم ، وهو قريب منهم ، وأنه معنى بأمرهم عناية مباشرة وأن شكواهم ونجواهم تصل إليه بلا واسطة وأنه لا يهملها ولا يكلها إلى سواه ، ومن ثم كانوا يعيشون فى أنس من ربهم .. فى كنفه . فى جواره . فى عطفه . فى رعايته . ويجدون هذا كله فى نفوسهم حيا ، وقعا ، بسيطا ».

وتختم سورة سبأ بمشهدين من مشاهد يوم القيامة ، وذلك حين يرون العذاب فيلجؤون إلى الإيمان فهم فى الدنيا كانوا بعيدين عن الإيمان ومنكرين لليوم الآخرة ، وهم فى الآخر بعيدون عن الإيمان ولاقوا جزاء كفرهم عذابا شديداً مثل الأمم الذى كفرت من قبل ؛ ذلك لأن الجزاء من جنس العمل .

« سورة فاطر »

سورة فاطر سورة مكية آياتها خمس وأربعون وتسمى أيضاً سورة الملائكة وهذه السورة المكية نسق خاص فى موضوعها وفى سياقها ، فهى تمضى فى إيقاعات تتوالى على القلب البشرى من بدئها إلى نهايتها ، إيقاعات موحية مؤثرة تهزه هزًا وتوقظه من غفلته ليتأمل عظمة هذا الوجود وروعة هذا الكون وليتدبر آيات الله المبثوثة فى تضاعيفه المتناثرة فى صفحاته ، وليتذكر من آلاء الله ويشعر برحمته ورعايته وليتصور مصارع الغابرين فى الأرض ومشاهدهم يوم القيامة وليخشع ويعنو وهو يواجه بدائع صنع الله وآثار يده فى أطواء الكون وفى أغوار النفس وفى حياة البشر وفى أحداث التاريخ والسمة البارزة فى هذه الإيقاعات هى تجميع الأمور كلها فى يد القدرة المبدعة ، وإظهار طلاقة القدرة لله .

تبدأ الآيات بتقرير الحمد لله عز وجل ، فهذه السورة قوامها توجيه القلب ، وإيقاظه لرؤية آلائه ، واستشعار رحمته ، فهذا الكون وما فيه من ضخامة أجزائه وتباعد أفلاكه ومداراته من أسرار التناسق فيها لو اختلت فيه نسبه صغيرة لتحطمت كلها وتناثرت بدداً .

يعيب صاحب الظلال على من يمرّ بهذه الآيات دون أن يقف أمامها ويتدبر مدلولاتها بقوله: « نمر على مشاهد السموات والأرض ذاتها بمثل هذه البلادة لا تقف أمامها إلا قليلا ذلك أن حسّا قد تبلد » .

ولا يحتاج القلب المفتوح الواعى الموصول بالله إلى علم دقيق بمواقع النجوم فى السماء ، ولا يحتاج القلب المفتوح الواعى الموصول بالله إلى علم دقيق يستشعر الروعة والرهبة أمام هذا الخلق الهائل الجميل العجيب .

وبمناسبة ذكر الأجنحة مثنى وثلاث ورباع ، حيث لا يعرف الإنسان إلا شكل الجناحين للطائر . يذكر أن الله يزيد فى الخلق ما يشاء « فيقرر طلاقة المشيئة ، وعدم تقيدها بشكل من أشكال الخلق » .

ثم يأتى قوله تعالى : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ هذه حقيقة لو استقرت فى قلب بشرى يتم فيه تحول كامل فى تصوراته ومشاعره واتجاهاته وموازينه وقيمه فى هذه الحياة جميعاً .

ورحمة الله تراها فى الممنوع كما تراها فى الممنوح ، ويجدها من يفتحها الله له فى كل شىء ومن ألطف ما قيل فى ذلك قول صاحب الظلال : « ورحمة الله لا تعز على طالب فى أى مكان ولا فى أى حال ، وجدها إبراهيم عليه السلام فى النار ، ووجدها يوسف عليه السلام فى الجب كما وجدها فى السجن ، ووجدها يونس عليه السلام فى بطن الحوت فى ظلمات ثلاث ، ووجدها موسى عليه السلام فى اليم وهو طفل مجرد من كل قوة ومن كل حراسة. كما وجدها فى قصر فرعون وهو عدو متربص له » .

إنه صورة لو استقرت فى قلب إنسان لصمد كالطود للأحداث والأشياء والأشخاص والقوى والقيم والاعتبارات ، ولو تضافر عليها الإنس والجن ، وهم لا يفتحون رحمة الله حين يمسكها ، ولا يمسكونها حين يفتحها .. ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ استحضار صورة اليوم الآخر دائماً أمام المؤمنين ، ليزداد يقينهم بالله وثقتهم به .

٢ ـ مداومة حمد الله وشكره على آلائه .

٣ ـ الثقة بالله والطمأنينة فى أحكامه .

٤ ـ إفراد الله بالسؤال والحاجة ؛ لأنه مالك الأمور كلها ومدبرها .

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

معانى الكلمات :

فلا تغرنكم : فلا تخدعنكم .

الغرور: ما يغر ويخدع من شيطان وغيره .

حزبه : أتباعه الذين أطاعوه . **السعير** : جهنم . **زين** : حسن له .

سوء عمله : عمله القبيح . **تثير سحابا** : تبعثه وتحركه . **النشور** : بعث الموتى من القبور . **العزة** : الشرف والقوة . **يمكرون السيئات** : يدبرون الفتن . **يبور** : يفسد ويبطل . **أزواجاً** : ذكورًا وإناثا . **يعم** : يطول عمره . **معمر** : طويل العمر .

كتاب : اللوح المحفوظ . **يسير** : سهل وهين .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعرف المسلم طريق العزة ، ومعرفة أثر القول الطيب والعمل الصالح .

٢ ـ أن يدرك المسلم هوان أمر الكافرين والظالمين .

٣ ـ أن يبادر المسلم بالأعمال الصالحة التى تقربه من ربه ، وأن يحذر الشيطان وإغوائه .

المحتوى التربوى :

يتجه هذا المقطع بالخطاب لرسول الله ﷺ بالبشرية والتسلية عن تكذيبهم له ، وإرجاع الأمر كله لله ، وأن الرسول ليس بدعاً من الرسل ، فالرسل والأنبياء والدعاة فى كل مكان وزمان تعرضوا للتكذيب والصد والعنت ؛ ذلك لأنهم يأتون بالحق الذى يهدد مصالح الظالمين .

الآية جاءت بعد ذكر أن الرحمة بيد الله ، وأن النفع والضر ، وقبض الرزق وبسطه عند مقدر الأمور ، لتظهر أن الكافرين لا يملكون إلا التكذيب ، أما العواقب فهى متروكة لله وحده ، يدبر أمرها كما يريد .

ثم تتولى الآيات بالتحذير من الحياة الدنيا وزخرفها والتحذير من الشيطان وإغوائه ، وإلباس الباطل حقا ، والحق باطلا ، إن الآيات تستثير قوة الإنسان بأن الاعتصام بحبل الله بكون محاربة أهواء النفس وإغواء الشيطان ، وعدم الانخداع بزخرف الدنيا .

إن من نعم الله عز وجل على الإنسان بأن وضح الله الطريق المستقيم ، ومن رحمة الله أيضاً أن ذكر لنا الأعداء الذين يقفون فى هذا الطريق وهو الشيطان وزخرف الدنيا وغيرها .

بل إن الرحمة فى كل مظاهرها تظهر فى تصويره طبيعة الغواية بأن يزين الشيطان سوء عمله فيراه حسنا ، أن يعجب بنفسه وبكل ما يصدر عنه ، مفتون بكل ما يتعلق بذاته ، **ويقول صاحب الظلال** فى ذلك : « هذا هو البلاء الذى يصيبه الشيطان على إنسان ، وهذا هو المقود الذى يقوده منه إلى الضلال ، فإلى البوار ! إن الذى يكتب الله له الهدى والخير يضع فى قلبه الحساسية والحذر والتلفت والحساب ، فلا يأمن مكر الله ، ولا يأمن تقلب الدنيا ، ولا يأمن الخطأ والذلل ، ولا يأمن من تقلب الدنيا» .

وحول الغرور وقبحه وسوء أثره **يقول صاحب الظلال** : « هو هذا الستار الذى يعمى قلبه وعينه فلا يرى مخاطر الطريق ، ولا يحسن عملاً ؛ لأنه مطمئن إلى حسن عمله وهو سوء ، ولا يصلح خطأ لأنه واثق أنه لا يخطئ! ولا يصلح فاسداً لأنه مستيقن أنه لا يفسد ! » .

وما دام هذا حال الضلاّل فتأتى الآيات لتعزى الرسول بألا يحزن على ضلال المعاندين ، فهو رفق من الله بالرسول والدعاة ، وتوجيه أن يخلص الدعاة فى دعوتهم ، فإذا رأوا الناس فى الوقت ذاته يصدون عنها ، ويعرضون بألا يلتفتوا إلى ذلك ولا ييأسوا على من لم يقدر له الله الصلاح والفلاح .

ثم تأتى الآيات بمشهد كونى وهو نزول المطر بعد إثارة الرياح للسحاب ، وهذا المشهد دليل واقعى ملموس ، لا سبيل أمامه إلى المكابرة ، وخاصة فى البيئة الجاهلية المقفرة ، وهذا تنوع فى وسائل الدعوة خاصة أمام المعاندين بالنظر للكون المنظور وآلاء الله فيه .

ثم يأتى السياق القرآنى ليوضح سبيل العزة الحقيقية، وليست العزة الزائفة فقد كان المشركون يشركون استبقاء لمكانتهم الدينية فى مكة ، وما يقوم عليه من سيادة لقريش على القبائل بحكم العقيدة التى تحقق لهم مغانم متعددة مما جعلهم يقابلون الرسول بقولهم : ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ (القصص : ٥٧)

لكن الله يقول : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ وهذه الحقيقة كفيلة حين تستقر فى القلوب أن تبدل المعايير كلها وتبدل الوسائل والخطط أيضا إن الفرة كلها لله وليس شىء منها عند أحد سواه فمن كان يريد فليطلبها من مصدرها الذى ليس لها مصدر غيره ، ليطلبها من عند الله ، فهو واجدها ، وهو مانحها وفى ذلك يقول صاحب الظلال : « إنها حقيقة أساسية من حقائق العقيدة الإسلامية ، وهى حقيقة كفيلة بتعديل القيم والموازين ، ويكفى أن تستقر فى أى قلب، ليقف به أمام الدنيا كلها عزيزاً ثابتا إنه لن يحنى رأسه لمخلوق متجبر ولا لعاصفة طاغية» .

ومن هنا يذكر الكلم الطيب والعمل الصالح : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ ولهذا التعقيب المباشر بعد ذكر الحقيقة الضخمة مغزاه وإيحاؤه . فهو إشارة إلى أسباب العزة ووسائلها لمن يطلبها عند الله القول الطيب والعمل الصالح . القول الطيب الذى يصعد إلى الله فى علاه والعمل الصالح الذى يرفعه الله إليه ويكرمه بهذا الارتفاع ومن ثم يكرم صاحبه ويمنحه العزة والاستعلاء .

إن العزة ليست عنادًا جامحًا يستكبر على الحق ويتشامخ بالباطل وليست طغيانًا فاجرًا يضرب فى عتو وتجبر وإصرار إنما العزة استعلاء على شهوة النفس واستعلاء على القيد والذل واستعلاء على الخضوع الخانع لغير الله أما وسائل العزة الباطلة فقد ظهرت فى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ ويمكرون هنا مضمنة معنى يدبرون ولكنه عبر بها لغلبة استعمالها فى السوء فهؤلاء لهم عذاب شديد فوق أن مكرهم وتدبيرهم يبور فلا يحيا ولايثمر فالمكر السيئ قولاً وعملاً، فليس سبيلا إلى العزة ولو حقق العزة الطاغية الباغية فى بعض الأحيان إلى البوار وإلى العذاب الشديد .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الحذر من الشيطان وغوايته وضلاله .

٢ ـ ألا يغتر الإنسان بعمله ، وأن يحاسب نفسه ليعرف مواضع النقص والخطأ .

٣ ـ السعى لنيل العزة من مصدرها وهو الله عز وجل ، ووسائلها مثل القول الطيب ، والعمل الصالح .

٤ ـ عدم الاغترار بالعزة المستمدة من الطغيان فهى إلى هلاك وبوار .

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ۖ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾
٤٣٦

معانى الكلمات :

عذاب فرات : حلو عذب .

سائغ شرابه : سهل انحداره فى الحلق .

أجاج : شديد الملوحة . **لحماً طرياً** : الأسماك . **حلية** : مثل اللؤلؤ والمرجان . **مواخر** : سفن تشق الماء .

يولج : يدخل . **قطمير** : قشرة رقيقة على نواة التمر . **يذهبكم** : يهلككم .

بعزيز : بصعب . **وزر** : ذنب .

مثقلة : أى نفس أثقلتها الذنوب .

تزكى : تطهر من الشرك .

المصير : المرجع والنهاية .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعرف المسلم صفة الجزاء يوم القيامة، وأن فردية العمل يتبعها فردية الثواب والعقاب

٢ ـ أن يشعر المسلم بالأمانة التى كلفه الله بها .

٣ ـ أن يبادر المسلم بالأعمال الصالحة ، والأقوال الطيبة مستحضراً يوم القيامة .

المحتوى التربوى :

تواصل الآيات ذكر آيات الله فى خلقه ، من خلق الماء وتنويعه بين الماء العذب ، والماء الأجاج ، وما فيهما من النعم مثل الأسماك والحلية من الجواهر الكريمة ، وفيه حمل الناس فى الفلك .

وفى بيان التقدير العجيب فى تصميم هذا الكون الضخم يقول أحد العلماء : « وعلى الرغم من الانبعاثات الغازية من الأرض طوال الدهور ـ ومعظمها سام ـ فإن الهواء دون تلويث فى الواقع ، ودون تغير فى نسبته المتوازنة اللازمة لوجود الإنسان ، وعجلة الموازنة العظيمة هى تلك

الكتلة الفسيحة من الماء أى المحيط ـ الذى استمدت منه الحياة والغذاء والمطر والمناخ المعتدل ، والنباتات ، وأخيراً الإنسان نفسه » .

إن هذه الآيات تتطلب من المسلم التأمل والتدبر ، ومخاطبة تبلد الحس إلى النظر فى هذا الكون ، فى هذه المياة السائغة للشرب ماذا لو تحولت كلها لملح أجاج ؟ وفى داخل هذه المياه الأسماك التى منحها الله للإنسان لحماً طرياً ، ولم يتكلف الإنسان حتى تغذيتها ، وفيها الحلية من اللؤلؤ والمرجان وغيرها ، وتقطع بطرق خاصة وتتخذ منه الحلى ، وفى الماء أودع الله فيه نسبة من الكثافة ليحمل السفن فوقه للسفر والتجارة .

قال الشوكانى : « قال أكثر المفسرين : إن المراد من الآية : ضرب المثل فى حق المؤمن والكافر، والكفر والإيمان، فكما لا يستوى البحران كذلك لا يستوى المؤمن والكافر، ولا الكفر ولا الإيمان » .

ثم مشهد آخر تعرضه الآيات مشهد دخول الليل فى النهار والضياء يغيب قليلا قليلا ، والظلام يدخل قليلا قليلا ، ومشهد دخول النهار فى الليل ، وينتشر الضياء رويداً رويداً ، ويتلاشى الظلام رويداً رويداً ، ثم مشهد آخر هو مشهد الشمس والقمر وحركتهما دائماً ، ويتأمل **صاحب الظلال** فى هذه المشاهد فيقول : « وهذه الحركة الدائبة التى لا تفتر ولا تختل حركة مشهودة لا يحتاج تدبرها إلى علم وحساب ! ومن ثم فهى آية معروضة فى صفحة الكون لجميع العقول ، وجميع الأجيال على السواء ، وقد ندرك نحن اليوم علمها الظاهر أكثر مما كان يدرك المخاطبون بهذا القرآن لأول مرة ، وليس هذا هو المهم ، إنما المهم أن توحى إلينا ما كانت توحيه إليهم ، وأن تهز قلوبنا كما كانت تهز قلوبهم ، وأن تثير فينا من التدبر ورؤية يد الله المبدعة ، وهى تعمل فى هذا الكون العجيب ما كانت تثير فيهم . والحياة حياة قلوب » .

ثم يتتابع النسق القرآنى بعد ذكر جوانب القدرة الإلهية بذكر ضعف معبودات الكافرين من الأوثان أو الملائكة فهى لا تملك نفع أنفسها أو ضرها فكيف بغيرها ، والإخبار بأن الناس فقراء إلى الله عز وجل ، وأن الله حين يدعوهم إلى الإيمان بالله فهو غنى عن عبادتهم وحمدهم .

يقول الإمام النسفى : « ولم يسم الله الناس بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ، ولهذا وصف نفسه بالغنى الذى هو مطمع الأغنياء وذكر الحميد ليدل به على أنه الغنى النافع بغناه خلقه » .

وفضل الله على الإنسان سابغ فى النعم التى أنعمها عليه ينال من الله كل الرعاية ، ويستخلفه فى الأرض ، ويهبه كل أدوات الخلافة ، ويضل هذا المخلوق ويتبجح حتى ليشرك بربه وينكره ، يرسل الله إليه الرسل، رسولاً بعد رسول، وينزل على الرسل الكتب والخوارق، ويطرد فضل الله ويفيض حتى لينزل فى كتابه الأخير قصصا يحدث بها الناس ، ويقص عليهم ما وقع لأسلافهم ، كل ذلك والبشر يقابلون هذه الرعاية بالنكران والجحود ، فتأتى الآيات لتذكرهم هؤلاء الناس بضعفهم لئلا يركبهم الغرور وهم يرون الله يملى لهم .

الآيات تذكرة للدعاة بالصبر على المدعوين لأقصى درجاته ، وعدم تعجل الاستجابة ، فالكل إلى الله فقيرو ضعيف المؤمن والكافر ، لذا فإن الدعاة أجرهم على الله فبفضله الجزيل يكافئهم ، وألا يأسوا من عنت الكافرين لأنهم محاويج ضعاف ، وما بأيديهم من فضل الله الذى يعطيه من أحب ومن لا يحب .

ويلمس السياق لمسة أخرى حقيقة أخرى حقيقة فردية التبعة ، والجزاء الفردى الذى لا يغنى فيه أحد عن أحد شيئًا ، فما بالنبى ﷺ من حاجة إلى هدايتهم يحققها لنفسه فهو محاسب على عمله وحده كما أن كلاً منهم محاسب على ماكسبت يداه يحمل حمله وحده لا يعينه أحد عليه ومن يتطهر فإنما يتطهر لنفسه وهو الكاسب وحده لا سواه والأمر كله صائر إلى الله وعن ثمرة ذلك **يقول صاحب الظلال** : « وحقيقة فردية التبعة والجزاء ذات أثر حاسم فى الشعور الأخلاقى وفى السلوك العلمى سواء ، فشعور كل فرد بأنه مجزىّ بعمله ، لا يؤاخذ بكسب غيره ، ولا يتخلص هو من كسبه عامل قوى فى يقظته لمحاسبة نفسه قبل أن تحاسب مع التخلى عن كل أمل خادع فى أن ينفعه أحد بشىء أو أن يحمل أحد عنه شيئًا . كما أنه فى الوقت ذاته عامل مطمئن فلا يقلق الفرد خيفة أن يؤخذ بجريرة الجماعة فيطيش وييئس من جدوى عمله الفردى الطيب مادام قد أدى واجبة فى النصح للجماعة ومحاولة ردها عن الضلال بما يملك من وسيلة » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ التأمل والتفكر فى خلق الله طريق إلى اليقين بالله .

٢ ـ إفراد الله بالسؤال وطلب الحاجات .

٣ ـ ألا يغفل عن شكر ربه وحمده على نعمه وآلائه .

٤ ـ أن كل إنسان مسؤول عن عمله ، وهذا لا يعفيه من النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ
أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ
أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ
الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾
٤٣٧

معانى الكلمات :

الحرور : شدة الحرّ ليلا .

البينات : الأدلة الواضحة .

الزبر : الصحف المليئة بالمواعظ .

نكير : إنكارى وتعذيبى لهم .

جدد: طرائق فى الجبال تخالف لون الجبل ، ولها خطوط مختلفة الألوان .

غرابيب سود : شديدة السواد .

الأنعام : الإبل والبقر والغنم والماعز .

عزيز : غالب يفعل ما يريد .

لن تبور : لن تكسد .

ليوفيهم أجورهم : ليعطيهم أجورًا وافية .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعرف المسلم بعض نعم الله عز وجل .

٢ ـ أن يشعر المسلم بجمال وروعة خلق الله عز وجل .

٣ ـ أن يديم المسلم التدبر والتفكر فى الكون ، والتدبر فى تلاوة القرآن .

المحتوى التربوى :

تبدأ الآيات هنا بذكر مقابلات لتوضيح البون بين الإيمان والكفر ، والخير والشرّ ، والهدى والضلال ، **قال ابن كثير** : يقول تعالى : كما لا يستوى هذه الأشياء المتباينة المختلفة كالأعمى والبصير لا يستويان بل بينهما بون كبير ، وكما لا تستوى الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور كذلك لا تستوى الأحياء ولا الأموات وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء وللكافرين وهم الأموات ، ولن يستوى عند الله والكفر والخير والشر والهدى والضلال كما لا يستوى العمى والبصر والظلمة والنور والظل والحرور والحياة والموت وهى مختلفة الطبائع من الأساس ويعبر عن ذلك **صاحب ظلال بقوله** : « إن الإيمان نور، نور فى القلب نور فى الجوارح، ونور فى الحواس ، نور يكشف حقائق الأشياء والقيم والأحداث » .

والإيمان بصر ، يرى رؤية حقيقية صادقة غير مهزوزة ولا مخلخلة ويمضى بصاحبه فى الطريق على نور وعلى ثقة وفى اطمئنان .

والإيمان ظل ظليل تستروحه النفس ويرتاح له القلب، ظل من هاجرة الشك والقلق والحيرة فى التيه المظلم بلا دليل .

والإيمان حياة،حياة فى القلوب والمشاعر، حياة فى القصد والاتجاه ، كما أنه حركة بانية، مثمرة قاصدة لا خمود فيها ولا همود ، ولا عبث فيها ولا ضياع .

والكفر ظلمة أو ظلمات فعندما يبعد الناس عن نور الإيمان يقعون فى ظلمات من شتى الأنواع والأشكال ، ظلمات تعز فيها الرؤية الصحيحة لشىء من الأشياء .

والكفر هاجرة حرور تلفح القلب فيه لواقح الحيرة والقلق وعدم الاستمرار على هدف، وعدم الاطمئنان إلى نشأة أو مصير ، ثم تنتهى إلى حرّ جهنم ولفحة العذاب هناك !

والكفر موت . موت فى الضمير ، وانقطاع عن مصدر الحياة الأصيل وانفصال عن الطريق الواصل » .

إن القرآن يضرب الأمثلة لمحاولة إقناع المعاندين ، وهذا ما يثير فى الدعاة العزم لتنوع خطابهم للمدعوين ، فالدعوة إلى الله ليست محصورة فى الوعظ والتوجيه ، بل ذكر الأمثلة الماثلة أمام الناس أدعى إلى استجابتهم ، وتحريك الإيمان الخامد فى صدورهم .

ثم تأتى الآيات بلمسة حانية رفيقة بالدعاة ، فلا يحزن الدعوة إذا أخلصوا الدعوة ولم تلامس دعوتهم بعض القلوب فهى قلوب ميتة ، وما على الرسل والدعاة إلا التبشير بالجنة والإنذار من النار ، وهم لا يطلبون أجراً إلا من الله ويحملون للناس نجاتهم .

وسنة الله فى عباده أن يرسل رسلاً إلى الأقوام ، فيلقى الرسول مؤمنين به ويلقى معاندين مستكبرين ، هذا ليس عن تقصير من الرسل ، ولا عن نقص من الدليل ، بل إن الرسل يحملون لهم الحجج الواضحات والمواعظ والنصائح والمعجزات والخوارق وأخبار من سبقهم ، بل إن حياة الرسل نفسها وأخلاقهم دليل على صدق رسالتهم .

لكن الكفار والمستكبرين يعاندون حفاظاً على مصالحهم التى تحميها العقائد الباطلة ، وكل هذا تسرية للدعاة بألا يأسوا من ظلم معانديهم وصدهم فهذا دأب من قبلهم ، بل هذا دليل على صدق دعوتهم ، واستقامة طريقهم .

ومن كمال البشرية عن المؤمنين ختام الآيات بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ فكما لا يستوى الكفر والإيمان، فلا يتساوى الجزاء، بل إن الجزاء على قدر الإنكار، ولقد كان الإنكار شديداً ، وكان الأخذ تدميراً ، فليحذر الماضون على سنة الأولين أن يصيبهم ما أصاب الأولين .

ثم تشير الآيات إلى كمال قدرة الله عز وجل بخلق الأشياء المتنوعة من الشىء الواحد ، فالماء الذى أنزله الله ينتج أنواعاً من الثمار ، ولا تجد نوعاً من الثمار يماثل نوعاً آخر ، بل لا تجد ثمرة واحدة يماثل لون أخواتها من النوع الواحد .

ثم انتقلت الآيات من الثمرة إلى الصخرة ، فالجبال صخورها مختلفة أشكالها ، فالجدد البيض مختلف ألوانها ، والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها ، وكذلك الجدد السود .

وكان الختام المناسب لهذا العرض البهيج قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ لأن هم الذين يعرفون الله معرفة حقيقية يعرفون آثار صنعته ، ويعرفونها للناس .

قال القاشانى : « أى ما يخشى الله إلا العلماء العارفون به لأن الخشية ليست هى خوف العقاب ، بل هيئة فى القلب يحصل له خشوع وانكسار خشوعية انكسارية عند تصور وصف العظمة واستحضاره لها ، فمن لم يتصور عظمته لم يمكنه خشيته .

ومن كتاب الكون تنتقل الآيات إلى الكتاب المنزل والإرشاد لطريق الله بقراءة وتدبر آياته ، كما **يقول صاحب الظلال** : « وتلاوة كتاب الله تعنى شيئاً آخر غير المرور بكلماته بصوت أو بغير صوت ، تعنى تلاوته عن تدبر ، ينتهى إلى إدراك وتأثر ، وإلى عمل بعد ذلك وسلوك ، ومن ثم يتبعها بإقامة الصلاة ، وبالإنفاق سراً وعلانية من رزق الله » .

وإزاء حسن الأداء يتفضل الله على عباده بجزيل الجزاء ، يصف جل جلاله نفسه بأنه غفور يغفر التقصير ، وشكر الله كناية عما يصاحب الشكر عادة من الرضا وحسن الجزاء .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ تنوع وسائل الدعوة ما بين الوعظ والتفكر فى الكون والتدبر فى القرآن .

٢ ـ أن يصبر الدعاة على التكذيب والعنت .

٣ ـ أن يشكر المسلم ربه باللسان والقلب والجوارح .

وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ
ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم
مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾
وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ
عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ
أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ
فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ
غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

معانى الكلمات :

اصطفيناه : اخترناه .

ظالم لنفسه : رجحت سيئاته على حسناته .

مقتصد : استوت حسناته وسيئاته .

جنات عدن : جنات إقامة دائمة .

يحلون : يلبسون الحلى .

أحلنا : أسكننا .

لغوب : إعياء وضعف .

كفور : مبالغ فى الكفر والعصيان .

يصطرخون : يستغيثون .

نعمركم : نسكنكم فى الدنيا عمراً طويلاً .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يتعرف المسلم على بعض واجبات الدعوة إلى الله .

٢ ـ أن يشعر المسلم بثقل التبعة الملقاة عليه ،ويدرك واجبات الاصطفاء الربانى لهذه الأمة .

٣ ـ أن يشغل المسلم كل أوقاته فى طاعة الله .

المحتوى التربوى :

فى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ تنبيه بها يجب على الدعاة أن يؤمنوا بأنهم يحملون الرسالة العظمى ، ومع الدليل على ذلك كما **يقول صاحب الظلال** : « ودلائل الحق فى هذا الكتاب القرآن واضحة فى صلبه فهو الترجمة الصحيحة لهذا الكون فى حقيقته ، أو هو الصفحة المقروءة ، والكون هو الصفحة الصامتة ، وهو مصدق لما قبله من الكتب الصادرة من مصدره ، والحق واحد لا يتعدد فيها وفيه ، وهى كلمات توحى لهذه الأمة ومنزلة نزله للناس وهو على علم بهم ، وخبرة بها يصلح لهم ويصلحهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ هذا هو الكتاب فى ذاته وقد أورثه الله لهذه الأمة المسلمة ، اصطفاها لهذه الوراثة،

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ بكرامتها على الله ، كما توحى إليها ضخامة التبعة الناشئة عن هذا الاصطفاء وعن تلك الوراثة ، وهى تبعة ضخمة ذات تكاليف » .

وهذه الأمة إزاء التبعة ثلاثة أقسام : قسم ظالم لنفسه ربت سيئاته على حسناته ، وقسم مقتصد تساوت سيئاته وحسناته ، وقسم سابق بالخيرات ربت حسناته على سيئاته ، وكل هؤلاء فى الجنة حتى من أساء منهم وهنا يظهر فضل الله ورحمته على خلقه .

ولعل ذكر الفريق الأول ، لأنه الأكثر عدداً ، أو كما يقول الإمام النسفى : « وإنما قدم الظالم للإيذان بكثرتهم ، وأن المقتصدين قليل بالإضافة والسابقون أقل من القليل ».

عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال ذات يوم : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى قال ابن عباس ﷺ : « السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ ».

وتأتى الآيات بمشهد الثواب وهو نعيم مادى ملموس ، ونعيم نفسى محسوس ، وفى ذلك يقول صاحب الظلال : « وذلك بعض المتاع ذى المظهر المادى . الذى يلبى رغائب النفوس وبجانبه الرضا وذلك الأمن وذلك الاطمئنان : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ والدنيا بما فيها من قلق على المصير ، ومعاناة للأمور تعد حزنا بالقياس إلى هذا النعيم المقيم والقلق يوم الحشر على المصير مصدر حزن كبير ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ غفر لنا وشكر لنا أعمالنا بما جازانا عليها ، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ ﴾ للإقامة والاستقرار ﴿ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ فما لنا عليه من ، إنما هو الفضل يعطيه من يشاء » .

هذه الآيات دفع للأمة المصطفاة أن تجدّ فى تبليغ رسالتها ؛ لأن الله وعدها بالثواب والفضل حتى لو لم تكن أعمالنا تساوى تلك المنزلة ، وتقوية للنفوس التى قد تضعف وهى فى طريق الدعوة إلى الله بأن الجنة يسر ورخاء ، لكنها فى الدنيا حفت بالمكاره والشدائد ، فيقول ابن كثير فى قوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ أى أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم ؛ لأنهم كانوا يدئبون أنفسهم فى العبادة فى الدنيا ، فسقط عنهم التكليف بدخولها ، وصاروا فى راحة دائمة مستمرة . قال الله تعالى : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الحاقة) .

ثم تأتى صورة عذاب الكافرين الذى عاشوا فى الحياة الدنيا فسادا وتمتعوا بالملذات ، فيعرضهم القرآن وهم يصطلون بنار جهنم ، ويطلبون الإغاثة فلا يغاثون ، ويندمون ويتحدون

ولكن بعد فوات الأوان ، ويأتى التأنيب القاسى من الله بأن الله مدّ لهم العمر حتى ينالوا كرمه لكنهم أعرضوا عن الحق فالعذاب مصيرهم لأنهم ظالمون .

لقد قطعت الآية الحجة عن المعاندين والظالمين بأن الله أعطى لهم عُمْراً ، وجاءتهم الرسل يخبرونهم لكن أعرضوا فساء مصيرهم .

قال صاحب الأساس فى تفسيره : « اختلف المفسرون فى العمر الذى يؤنب عليه الإنسان إذا لم يسلم فى قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ قال النسفى : وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر، إلا أن التوبيخ فى المتطاول أعظم وأخرج البخارى فى صحيحه قال : قال رسول الله ﷺ : « أعذر الله عز وجل إلى امرئ أخر عمره حتى بلغ ستين سنة » .

إن الحياة ابتلاء من الله لخلقه ليميز الله المؤمن من الكافر ومن رحمة الله بنا أن عرض نماذج من الأمم السابقة عتت ، وعرض لنا نماذج آمنت ، وأبان لنا ربنا جل وعلا بآل كل فريق ، كما قال صاحب الظلال فى عرضه للصورتين : « إنهما صورتان متقابلتان ، صورة الأمن والراحة ، تقابلها صورة القلق والاضطراب ، ونعمة الشكر والدعاء تقابلها ضجة الاصطراخ والنداء ، ومظهر العناية التكريم ، يقابله مظهر الإهمال والتأنيب والجرس اللين والإيقاع الرتيب يقابلهما الجرس الغليظ والإيقاع العنيف فيتم التقابل ويتم التناسق فى الجزئيات وفى الكليات سواء » .

وأخيرًا يجيء التعقيب على هذه المشاهد جميعًا وعلى ما سبقها من اصطفاء وتوريث : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ والعلم الشامل اللطيف الدقيق أنسب تعقيب على تنزيل الكتاب وعلى اصطفاء من يرثونه ويحملونه .. وعلى تجاوز الله عن ظلم بعضهم لنفسه وعلى تفضله عليهم بذلك الجزاء وعلى حكمه على الذين كفروا بذلك المصير .. فهو عالم غيب السموات والأرض وهو عليم بذات الصدور .. وبهذا العلم الشامل اللطيف الدقيق يقضى فى كل هذه الأمور .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ إدراك المسلم بالتبعة الملقاة على عاتقه ، والاصطفاء الربانى له .

٢ ـ الحث على استثمار الوقت والطاقة فى الطاعة .

٣ ـ أن يقرّ قلب المؤمن فى كل أموره طالما كان مستقيمًا فى كل أموره .

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۗ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾
٤٣٩

معانى الكلمات :

مقتا : غضبا .

خساراً : هلاكًا وخسرانًا .

بينة : حجة وبرهان .

غروراً : باطلا أو خداعاً .

جهد : غاية اجتهادهم .

أهدى : أكثر هداية .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يتعرف المؤمن على مصير الأمم المكذبة .

٢ ـ أن يشعر المسلم بمعية الله للمؤمنين .

٣ ـ أن يكثر المسلم من التدبر فى نفسه وفى الكون من حوله .

المحتوى التربوى :

ثم تمضى الآيات تنبه المؤمن لتذكير الإنسان والأجيال الماضية **ويقول صاحب الظلال : « إن** تتابع الأجيال فى الأرض ، وذهاب جيل ومجىء جيل ، وانتهاء دولة وقيام دولة ، يشعر الحاضرين أنهم سيكونون بعد حين غابرين، فيتأمل الآتون بعدهم آثارهم ويتذاكرون أخبارهم ، كما هم يتأملون آثار من كانوا قبلهم ويتذاكرون أخبارهم ، وجدير بأن يوقظ الغافلين إلى اليد التى تدير الأعمار ، وتقلب الصولجان ، وتديل الدول ، وتورث الملك ، وكل شىء يمضى وينتهى ، ويزول ، والله وحده هو الباقى الدائم الذى لا يزول ولا يحول » .

ومن كان شأنه أن ينتهى ويمضى ، فلا يخلد ولا يبقى ، قد كان شأنه أنه سائح فى رحلة ذات أجل ، من كان شأنه هذا جدير بأن يحسن ثواءه القليل ، ويترك وراءه الذكر الجميل ، ويقدم بين يديه ما ينفعه فى مثواه الأخير .

ولا تفتأ الآيات تذكرنا بفردية التبعية ولا يحمل أحد عن أحد شيئاً ، ولا يدفع أحد عن أحد شيئاً ، والقرب من الله بالإيمان ، والبعد والمقت والخذلان بالكفر .

ولإقامة الحجة على الآخرين تتنوع وسائل الدعوة ، فتنتقل الآيات من التفكر فى الإنسان وتوالى الأجيال إلى إثبات ضعف الإنسان وأنه جرم صغير خلقه الله وأنشأه ، وأن معبودات المشركين هى نفسها من مخلوقات الله .

فى قوله تعالى : ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ﴾ يقول **صاحب الظلال** : « يحتمل أن يكون هذا السؤال الإنكارى موجهاً إلى المشركين أنفسهم ـ لا إلى الشركاء ـ فإن إصرارهم على شركهم قد يوحى بأن يستمدون عقيدتهم هذه من كتاب أو قوة من الله فهم على بينة منه وبرهان، وليس هذا صحيحاً ولا يمكن أن يدعوه ، وعلى هذا المعنى يكون هناك إيحاء بأن أمر العقيدة إنما يتلقى من كتاب الله بين ، وأن هذا هو المصدر الوحيد الوثيق ، وليس لهم من هذا شئ يدعونه ، بينما الرسول ﷺ قد جاءهم بكتاب من عند الله بين ، فما لهم يعرضون عنه وهو السبيل الوحيد لاستمداد العقيدة » .

إن الآيات تشير لمقومات العزة عند المسلمين وهو الإيمان بالله والتمسك بكتابه الذى يهدى للخير وإلى طريق مستقيم ، بينما الكافرون ضالون مضلون يعد بعضهم بعضًا أن طريقتهم هى المثلى ، وأنهم هم المنتصرون ، وإن هم إلا مخدوعون مغرورون يغر بعضهم بعضا ، ويعيشون فى هذا الغرور الذى لا يجدى شيئاً ، هم الأخسرون أعمالا ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

إن كل بيت يبنيه بشرٌ قد يتعرض للتصدى أو السقوط ، مهما كانت قوة بنائه والآلات الدائرة التى هى من صنع البشر قد تتعرض للتوقف لعطب فيها ، لكن نظرة إلى السموات والأرض ، إلى هذه الأجرام التى لا تحصى تدور فى أفلاكها محافظة على مداراتها ، لا تختل ، ولا تخرج عنها ، وكلها لا تقوم على عمد، ولا تسند على شيء من هنا أو هناك ، والله يحفظها من أن تزول بقدرته، بل إن زالت السموات والأرض واختلت وتناثرت بددًا فما أحد بقادر على أن يمسكها بعد ذلك أبداً ، وذلك هو الموعد الذى ضربه القرآن كثيراً لنهاية هذا العالم ، حين يختل نظام الأفلاك وتضطرب وتتحطم وتتناثر .

إن الآيات تنبه المؤمن أن يسير فى دعوته قرير العين ؛ مطمئن النفس لأنه موصول بالقدرة الخفية القاهرة ، ولأن منهجه هو كتاب الله الكريم .

وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ حليما يمهل الناس ولا ينهى هذا العالم بهم ، ولا يأخذ بنواصيهم إلى الحساب والجزاء لا فى الأجل المعلوم ، ويدع لهم الفرصة للتوبة والعمل والاستعداد ، ﴿ غَفُورًا ﴾ لا يؤاخذ الناس بكل ما اجترموا ، بل يتجاوز عن كثير من سيئاتهم ويغفرها متى علم فيهم خيراً .

وهذا أمر الله عز وجل مع خلقه الذين أكلوا من رزقه وجحدوا نعمته ، فخليق بالدعاة أن يتحلوا بالصبر والأناة مع من يدعونهم .

ثم تورد الآيات تقريع الذين أخلفوا العهد مع الله ؛ الذين أقسموا أن يؤمنوا إذ جاءهم نذير لكن لم يوفوا بما عاهدوا لا شكا فى الرسول النذير لكن كبراً ومكرا سيئاً منهم ، وهنا تظهر رحمة الله بتذكيرهم أن أمماً قبلهم سبقت بالكفر فنالت عقاباً من الله لأن الأمور لا تمضى جزافاً ، والحياة لا تجرى فى الأرض عبثاً .

والقرآن يقرر هذه الحقيقة بل يأمر بالسير فى الأرض ؛ لننظر فى مصير الذين عتوا وكذبوا، وعاندوا من قبل هلكوا ، وأصابهم العذاب وأورث الله المؤمنين ديارهم ، ولم تنفعهم قوتهم .

والسير فى الأرض بعين مفتوحة وقلب يقظ والوقوف على مصارع الغابرين وتأمل ما كانوا فيه وما صاروا إليه ... كل أولئك خليق بأن تستقر فى القلب ظلال وإيحاءات ومشاعر وتقوى ومن ثم هذه التوجيهات المكررة فى القرآن للسير فى الأرض والوقوف على مصارع الغابرين وآثار الذاهبين وإيقاظ القلوب من الغفلة التى تسدر فيها فلا تقف وإذا وقفت لا تحس وإذا أحست لا تعتبر وينشأ عن هذه الغفلة غفلة أخرى عن سنن الله الثابتة وقصور عن إدراك الأحداث وربطها بقوانينها الكلية ، وهى الميزة التى تميز الإنسان المدرك من الحيوان الذى يعيش حياته منفصلة اللحظات والحالات لا رابط لها ولا قاعدة تحكمها ، والجنس البشرى كله وحدة أمام وحدة السنن الإلهية .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ فردية التبعية ، فكل يجازى بعمله .

٢ ـ الحذر من اتباع السوء والمضلين .

٣ ـ المكر السيىء يعود على أهله أشد سوءاً .

٤ ـ أن التفكر فى الكون والإنسان وبدائع الصنائع فيهما يقود إلى الإيمان بالله .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾
سُورَةُ يٰسٓ
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يٰسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾
٤٤٠

معانى الكلمات :

بما كسبوا : أى بسبب ذنوبهم . **من دابة** : أى من إنسان أو حيوان . **يس** : حرفان للتنبيه على إعجاز القرآن، وقيل: معناهما : يا إنسان ، وقيل: معناهما : يا سيد البشر،وقيل: من أسماء الرسول ﷺ. **الحكيم** : المحكم الذى لا يلحقه تغيير . **صراط مستقيم** : شرع مستقيم لا انحراف فيه .**حق القول**: وجب العذاب . **أغلالا** : قيوداً . **مقمحون** : رافعو رؤوسهم لا يستطيعون خفضها . **نكتب** : نسجل ما عملوا . **آثارهم**:ما سنوه لغيرهم من عمل حسن أو قبيح.

أحصيناه: أثبتناه وحفظناه . **إمام مبين** : أصل بين واضح .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعرف المؤمن مظاهر رحمة الله بعباده .

٢ ـ أن يشعر المؤمن بآثار رحمة الله عليه .

٣ ـ أن يتبع المسلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

المحتوى التربوى :

يأتى ختام سورة فاطر يكشف عن حلم الله ورحمته إلى جانب قوته وقدرته ، ويؤكد أن إمهال الله للناس عن حلم وعن رحمة ، لا يؤثر فى دقة الحساب وعدل الجزاء فى النهاية : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وإن ما يرتكبه الناس من كفر لنعمة الله ، ومن شر فى الأرض وفساد ، ومن ظلم فى الأرض وطغيان ، إن هذا كله لفظيع شنيع ولو يؤاخذ الله الناس به لتجاوزهم ـ لضخامته وشناعته وبشاعته ـ إلى كل حىّ على ظهر هذه الأرض ، ولأصبحت الأرض كلها غير صالحة إطلاقاً ، لا لحياة البشر فحسب ، ولكن لكل حياة أخرى والتعبير على هذا النحو يبرز شناعة ما يكسب الناس وبشاعته

وأثره المفسد المدير للحياة كلها لو أخذهم الله به غير أن الله حليم لا يعجل على الناس ويفسح لهم فى الفرصة لعلهم يحسنون صنعاً ، ثم يأتى وقت الحساب فى الآخرة فلا يظلم أحد شيئاً ﴿ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يؤخرهم أفرادًا إلى أجلهم الفردى حتى تنقضى أعمارهم فى الدنيا ويؤخرهم جماعات إلى أجلهم فى الخلافة المقدرة لهم حتى يسلموها إلى جيل آخر ويؤخرهم جنسًا إلى أجلهم المحدد لعمر هذا العالم ومجىء الساعة الكبرى .

إن الآيات تستثير فى المؤمن عواطف الرحمة والحلم والصبر على الناس حتى يستميل قلوبهم ، لأن الناس جبلت قلوبهم على الميل لمن يرفق ، والانفضاض عن الفظ الغليظ .

سورة يس :

سورة يس مكية آياتها ثلاث وثمانون ، وهى ذات فواصل قصيرة وإيقاعات سريعة ، وقصر الفواصل مع سرعة الإيقاع يطبع السورة بطابع خاص فتلاحق إيقاعاتها وتدق على الحس دقات متوالية ، يعمل على مضاعفة أثرها ما تحمله معها من الصور والظلال التى تخلعها المشاهد المتتابعة من بدء السورة إلى نهايتها وهى متنوعة وموحية وعميقة الآثار . وهى تهتم بقضايا العقيدة ، وتركز بصفة خاصة على قضية البعث والنشور .

تبدأ السورة التى تتناول قضية العقيدة ـ بالحديث عن القرآن ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ **قال صاحب الظلال** : « ويصف القرآن ، وهو يقسم به بأنه القرآن الحكيم ، والحكمة صفة العاقل ، والتعبير على هذا النحو يخلع على القرآن صفة الحياة والقصد والإرادة ، وهى من مقتضيات أن يكون حكيما ، ومع أن هذا مجاز إلا أنه يصور حقيقة ويقربها ـ فإن لهذا القرآن لروحًا ، وإن له لصفات الحىّ الذى يعاطفك وتعاطفه حين تُصفِّى له قلبك وتصفى له روحك ! وإنك لتشتاق إليه كما تشتاق إلى ملامح الصديق وسماته ، ولقد كان رسول الله ﷺ يحب أن يسمع تلاوة القرآن من غيره ، ويقف ينصت إذا سمع من يرتل هذا القرآن ، كما يقف الحبيب وينصت لسيرة الحبيب» .

والقرآن حكيم يخاطب كل أحد بما يدخل فى طوقه ، والقرآن حكيم ، يربى بحكمه . وفق منهج عقلى ونفسى مستقيم .

ثم يأتى القسم من الله عز وجل بأن محمداً هو الرسول، والله سبحانه ليس بحاجة إلى القسم ، ولكن هذا القسم منه ـ جل جلاله ـ يخلع على المقسم به عظمة وجلالاً .

فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ﴾ هذا بيان لطبيعة الرسالة بعد بيان طبيعة الرسول ، فطبيعة الرسالة الاستقامة ، وهذه الاستقامة لها توابع ، فيقول صاحب